ظاهرة الإلحاد
دراسة نقدية في نشأته وتشكلاته

دكتور/ خلف محمد متولي نصار

ملخص البحث بالعربية:
إن مشكلة العصر الحديث تكمن في الصراع الدائر بيع العلم والدين وهو في الحقيقة صراع مفتعل إذ إن العلم لا يعارض الدين وإنما هي ثمة تفسيرات وتأويلات ينبغي أن تعالج بصورة منهجية حتى يحصل الاتفاق وعدم التعارض.
وإن ظاهرة الإلحاد تبدو تصورا خاطئا لتلك العلاقة بين العلم والإيمان ولذلك البحث يناقش ظاهرة الإلحاد في النشأة وآثارها وما تلى ذلك من تطور في بنية المصطلح وكذلك الفكر وما نتج عنه من مخاطر وآثار.
عنوان البحث: ظاهرة الإلحاد دراسة نقدية في نشأته وتشكلاته
منهج البحث: الوصفي النقدي
خطة البحث: ينقسم البحث إلى
تمهيد: وفيه بيان موضوع البحث وتساؤله ومنهجه.
المبحث الأول: وفيه نشأة و تطور مفهوم الإلحاد.
المبحث الثاني : وفيه تشكلات الإلحاد القديمة والحديثة.
المبحث الثالث: أسباب الإلحاد الجديد ومخاطره.
المبحث الرابع: سمات الإلحاد الجديد وآثاره.
المبحث الخامس: سبل مواجهة الإلحاد.
ثم خاتمة وأهم النتائج بينت فيها ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات وكان من أهمها:
١- أن ظاهرة الإلحاد ليست إلا وهما وعدمية في النظرة والفكرة.
٢- كشف البحث عن تطور الإلحاد عبر التاريخ مع اختلاف في الأنماط والأفكار والإلحاد العام يشملها جميعا.

٣- الإلحاد القديم والجديد تشكل في جماعات ومذاهب انضوت تحته وكان لـــه دول ترعاه وتحمله.

٤- أثبت البحث أن للإلحاد دوافع نفسية واجتماعية وفكرية.

٥- أظهر البحث الوسائل المطلوبة في مواجهة ظاهرة الإلحاد.

Search summary in English:

The problem of the modern era lies in the ongoing conflict of selling science and religion, and it is in fact an artificial conflict, as science does not oppose religion, but there are interpretations and interpretations that should be dealt with in a systematic manner so that there is agreement and no conflict.

And the phenomenon of atheism appears to be a false perception of that relationship between science and faith, and therefore the research discusses the phenomenon of atheism in its upbringing and its effects and the subsequent development in the structure of the term as well as thought and the resulting risks and effects.

Research title: The phenomenon of atheism, a critical study of its origins and formations

Research method: descriptive criticism

Research plan: The research is divided into

Preface: It includes a statement of the research topic, its question, and its methodology.

The first topic: It includes the emergence and development of the concept of atheism.

The second topic: It includes the formations of ancient and modern atheism.

The third topic: the causes and dangers of the new atheism.

Fourth topic: Features of the new atheism and its effects.

The fifth topic: ways to confront atheism.

Then a conclusion and the most important results, which showed the results and recommendations of the study, the most important of which were:

-١The phenomenon of atheism is nothing but an illusion and nihilism in outlook and thought.

-٢The research revealed the development of atheism throughout history with a difference in patterns and ideas and general atheism that includes all of them.

-٣The old and the new atheism formed in groups and sects that came under it, and it had countries that sponsor and tolerate it.

-٤The research proved that atheism has psychological, social and intellectual motives.

-٥The research showed the means required to confront the phenomenon of atheism.

مقدمة:

الحمد لله بارئ النسم خالق الخلق من عدم سبحانه رضي لنا الدين وأكمله وأتم وبشرعه أسبغ النعم فالسعيد الموفق من قصد بابه وأم وسار خلف نبيه عليه السلام وأتم ثم الصلاة والسلام علي نبينا الأكرم ورسولنا الأعظم وبعد ،

إن المشكلة الحقيقية في ذلكم العصر الحديث تكمن في الصراع الدائر بين العلم والدين صراع في الحقيقة مفتعل ليس له جدوى إذ إن العلم لا يعارض الدين والدين كذلك لا يعارض العلم بل كلاهما في دائرة وحلقه لا تنفصم ولكن العقول القاصرة هي التي تفتعل ذلك الانفصام وتغذيه وتأطره حتى تصير عراكا ومهارشة فيصور الدين بأنه ضد العلم ونقيضه.

وإن ثمة تصورات خاطئة أصيب بها البعض جراء الزهو بهذا الانفجار المعرفي والتقني الذي سيطر على عقول الكثيرين فأصبحوا لا يرون أمامهم سوى ذلك التقدم وتلك الطفرة ومع غياب الدور الإيماني والعقدي في قلوب البعض نشط دور خطير من أدوار التشكك والريبة فيما هو ديني وعقائدي وإيماني غيبي ميتافيزيقي بل وفيزيقي على حد سواء.

فتصور ضعاف العقول تصورات تخالف مقتضى الفطرة السليمة وكذلك مقتضيات الشرع الحنيف من إيمان بالله تعالى ووجوده وعلمه وحكمته في الكون والخلق بعامة والإنسان ونظامه بخاصة فمنهم من أعاد سيرة المتشككين الأوائل الذين قالوا: " إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون " (الجاثية / ٢٤)

فرأوا أن الحياة هي الحياة الدنيا التي نعيش فيها ولا حياة سواها فكذبوا بالبعث والحساب والجزاء ورأوا أن سبب الإهلاك والإماتة إنما هي الأيام والليالي وما ذلك منهم في الحقيقة إلا انتكاسًا للفطرة وغيابا للمعاني الإيمانية التي تحول دون ذلك النظر القاصر المرتكس.

وهناك من أصابته لوثه من لوثات الأفكار المنحرفة الضالة فأخذته يمينا ويساراً فتقلب معها ودار معها حيث دارت فكانت العاقبة الكئداء والمصيبة العمياء ، وبعض هؤلاء حرفته عن طريق الحق أدواء نفسية غائرة عميقة تولدت من الواقع المتأزم بالتناقضات ، وكذلك الانحرافات السلوكية أو الدينية أو حتى المادية البغيضة التي اندثرت تحتها قيم ومبادئ المجتمع ومن ثم أسفرت عن خلل نفسي ومرضي أودى

بهؤلاء إلى غياهب من الإنكار والتنكر لكل ما هو ديني وروحي ، وتمثلت لهم المادة إلها يعبد من دون الله تعالى.

ولم يسلم من ذلك الغبار بعض المسلمين الذين تعلقوا بتلك الأفكار والفلسفات المخالفة لأصول الأديان المنحرفة عن الطريق السوي عقلا وفكراً وسلوكا ولا يخفى مدى إعجاب البعض بكل غريب شاذ تلفظه الأسماع وتستشنعه الفطر السليمة.

ومن رحم الجهل وغياب الفهم تولد الإلحاد وخلف وراءه ركامًا من الأفكار الفاسدة الكاسدة التي لا تنطلي إلا على ضعاف العقول أو مرضى القلوب ثم تبع ذلك فساد مجتمعي عريض وخلل في بناء الأمة ومرض استشرى لو لم نجد حلا له لكان وبالاً على الأمة أفراداً وجماعات لذلك فإن موضوع:

" **ظاهرة الإلحاد دراسة نقدية في نشأته وتشكلاته** "

هو من الموضوعات ذات الزخم والحضور في العصر الحاضر بحكم اكتظاظ الساحات العلمية والثقافية والمجتمعية ببعض الأفكار الإلحادية التي يروجها بعض المنحرفين على عقول شباب الأمة ممن لم يتزودوا من العلوم الشرعية حتى يصدوا بها تلك الانحرافات.

لذلك فموضوع البحث يعالج قضية واقعية أفرزها الواقع بجلاء ومن أجل ذلك كي أصل بهذا البحث إلى نتائج مرضية ومباحث مفيدة سأجعل بحثي يدور حول تساؤلات منطقية وعلمية ثم نحاول جاهدين الإجابة عنها في ثنايا البحث.

*** تساؤلات البحث: يدور البحث هو التساؤلات الآتية:**

١) هل تعاني شعوبنا العربية والإسلامية مخاطر الإلحاد ؟

٢) ما هي السبل الوقائية من انحرافات الإلحاد ؟

٣) ما هي سبل مواجهة الإلحاد العلمية والعملية ؟

٤) هل قامت المؤسسات الدينية والعلمية بدورها ضد الإلحاد ؟

*** منهج البحث:**

إن مثال هذه الدراسات الهامة تقوم على منهج الوصف والنقد والتحليل وذلك بوصف الظاهرة أو المشكلة ثم نقوم بتفكيك الكليات ثم تحليلها ومن ثم يتبين لنا مواطن الخلل الواقع وكذلك مكمن الخطورة ونستشرف العواقب مما يحدونا إلى استلهام الحلول الجذرية لتلك المشكلة سواء على الصعيد العلمي والمعرفي والديني أو على الصعيد المجتمعي والسلوكي الأخلاقي.

*** خطة البحث: وقد قسمت البحث إلى:**

مقدمة: وفيها بيان موضوع البحث وكذلك تساؤله ومنهجه ودوافعه.

ثم تمهيد: وفيه مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً.

ثم خمسة مباحث كالتالي:

المبحث الاول: تطور مفهوم الإلحاد.

المبحث الثاني: تشكلات الإلحاد القديمة والحديثة.

المبحث الثالث: أسباب الإلحاد الجديد ومخاطرهً .

المبحث الرابع: سمات الإلحاد الجديد وآثاره.

المبحث الخامس: سبل مواجهة الإلحاد الجديد.

ثم خاتمة وأهم النتائج و قائمة بأهم المصادر والمراجع.

تمهيد: مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً

إن النظر في أصول الأقوال والمذاهب يوقفنا على حقيقتها ويبين كنهها ، فالإلحاد له أصول لغوية تنبئ عن تعوجه وانحرافه ، ففي معجم مقاييس اللغة يقول ابن فارس في (باب اللام والحاء وما يثلثهما): " لحد": اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل إذا مال عن طريق الحق والإيمان، وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث، يقال: لحدت الميت وألحدت، والملتحد سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه "[1].

وفي لسان العرب لابن منظور يقول: " ولحد في الدين يلحد وألحد: مال وعدل وقيل: لحد مال وجار، ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال قد ألحد في الدين ولحد: أي حاد عنه وقُرِئَ قوله تعالى: " لسان الذي يلحدون إليه " والتحد مثله ، وروي عن الأحمر: لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت وألحد: مارى وجادل وألحد الرجل أي ظلم في الحرم وأصله من قوله تعالى: " ومن يرد فيه بإلحاد ظلم " أي إلحاداً بظلم..... الأزهري في قوله تعالى: " لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " قال الفراء: قُرِئَ يلحدون فمن قرأ يلحدون أراد يميلون إليه ويلحدون يعترضون قال وقوله تعالى: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم " أي باعتراض، وقال الزجاج: " ومن يرد فيه بإلحاد ": قيل: الإلحاد فيه الشك في الله وقيل: كل ظالم فيه ملحد "[2].

فالإلحاد: هو الميل عن الحق [3] وهذه هي الأصول اللغوية لكلمة الإلحاد ، وبعد ذكر ذلك الأصل اللغوي لكلمة إلحاد يظهر لنا أن الإلحاد تدور معانيه حول:

١. الميل عن الاستقامة.
٢. الجور والظلم وعدم العدل.
٣. الحياد عن الدين.
٤. المراء والمجادلة.
٥. الاعتراض.
٦. الشك في الله.

١ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ت، ج٥، ص٢٣٦.
٢ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف – القاهرة – ت/ عبد الله علي الكبير وآخرون، د/ت، ج٥، ص٤٠٠٦.
٣ الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت/ عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص٤٩٠.

وتلك المعاني اللغوية للفظ (إلحاد) تشي بسوءها وعدم حسنها فالإلحاد جمع من سوء الفعل والقصد فالملحد جائر ظالم وحائد عن الحق ومماري ومجادل ومتشكك ومعترض فهو يجمع بين سوء الفعل والعقل والتصور ولذلك تصدر أحكامه مشوهه غير سليمة وأقواله خداج منقوصه مبتورة.

***الإلحاد اصطلاحا:**

أما عن التعريفات الاصطلاحية فهي تدور في فلك التعريفات اللغوية مع تفصيل في طبيعة الإلحاد.

فالإلحاد: هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.

– وأن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة"[1].

وهذه الفكرة العدمية هي الفكرة المسيطرة على الإلحاد لا تفارقه وهي قوام المذهب والفكرة ولذلك يقول د/ حسام الدين حامد في تعريفها: " ولو قيل لي اجمع الإلحاد في كلمة واحدة لا يجاوز وصفه رسمها ولا تندُّ حقيقته عن حرفها لقلت " التوهم " ولو تمثل " العدم " غرضاً يطلب وأملاً يرتجى تحصيله لكان العدم هو غاية الملحد من هذه الحياة، ينطلقون من وهم معدوم ويطمعون في عدم مُتوهم "[2].

وحقيقة التوهم تكمن في النظرة الإلحادية للطبيعة المؤلهة فهي محور إلحاده وعليها يدور لذلك يقول حسام الدين حامد: " ولعل أبرز مظاهر التوهم تتمثل في موقف الإلحاد من العلم الطبيعي فإن كانت الطبيعة هي إله الملحد فإن العلم الطبيعي هو كتابه المقدس الذي تصدق أخباره وتطاع أوامره وتجتنب نواهيه وعلى أساسه يعقد الولاء والبراء عند الملحدين وهو عندهم كتاب تام لا يغادر شيئا وأحصى كل شيء خبراً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وطريقة نقله أصدق من التواتر وأهله هم أصحاب الولاية الذين ترسم كلماتهم معالم الطريق..... تكمن مشكلة الملحد في العجز عن التفرقة بين مستقبل العلم المأمول أو المتوهم وواقعه بسبب تصوره لطريقة العلم الطبيعي بدءاً من الدافع لتحصيله مروراً بالأصول انتهاء إلى ممارسته يحسب المادي عموماً والملحد

---

١ مانع حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ايداع: ٠١٩٠/ ١٠٨، ج٢، ص٨٠٣.

٢ حسام الدين جاد: الإلحاد وثوقية التوهم وخواء العدم، مركز تفكر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م، ص٨.

خصوصاً أن كافة متعلقات العلم الطبيعي لا شأن لها بالغيبيات وأن الميتافيزيقا لا تلعب دوراً في شيء من عمليات العلم الطبيعي"[1].

وحقيقة الإلحاد كما مر تعكس وثوقا في الطريقة إلى أبعد حد وتلك تعكس نفسية الملحد وفي ذلك يقول د/ عبد الله الشهري: " نعم يُبدي معتنق الإلحاد الجديد ثقة تامة في قرار إلحاده وفي مسئوليته تجاه الرسالة التي يحملها للعالم والإلحاد في نظره هو الخيار الذي لا يسع عاقلاً تجاهله ، وهو النتيجة الطبيعية والمحصلة الحتمية للتفكير المجرد الأمين يتبدى ملمح الثقة عند الملحد الجديد في خلال ممارسات معينة في ظهوره بمظهر الواثق أمام مرأى العالم في الحوارات والمناظرات واللقاءات والمناسبات المعلنة وغير المعلنة ، كذلك نجده يتبدى من خلال استعداده التام لخوض أية معركة ضد الدين لأنه في نظر نفسه مُخلِّص الإنسان من الأوهام التي لطالما جثمت على صدره لآلاف الأعوام وتجده متبديا أيضاً في ظهوره بمظهر القائد الإنساني المتفاني القلق على مستقبل البشرية المتأسف على ماضيها المشفق على حاضرها المتفائل بمستقبلها [2]".

فالملحد يعيش حالة من المصارحة المفرطة والتي تعكس حالة من التشوش والاضطراب إذ إن المبالغات في العدمية والوثوقية فيها لهذا الحد ليست أمراً منطقياً أو علمياً بل تعترضه كثير من المتناقضات التي يحققها هو نفسه من خلال عدم اعتقاده وإيمانه وإنما إيمانه بعدم الإله أو فقدانه أو عدم الحاجة إليه أو تأثيره فهذه الأمواج المتلاطمة من التناقضات تحمل هذا الملحد في كثير من الأحيان أن يظهر بصورة الزعيم القائد في حالة من غياب الوعي بما يدور حوله من مقتضيات الحياة وحتى وإن ادعى العلمية فيجد نظير تلك الحالة كذلك لأن العلوم في غالبها لا تناقض ما يناقض هو بل العلوم في حالة من التكاملية مع الدين والإيمان فكيف للملحد أن يتعلق بما في ذاته مناقض لما هو عليه فيقع في المغالطة وكذلك المجازفة فهم يعتبرون الإلحاد ليس إيماناً وإنما هو فقدام الإيمان بالآلهة وغياب الإيمان بهم وتلك مكابرة ، ولذلك يقول د/ سامي عامري متعرضا لفساد تصور الملاحدة: " وبهذا يتجاهلون أن العقيدة والتصور الكوني قد ينبجسان من كلمة واحدة فإن التصور الكوني قد يبدأ من فكرة تتداعى عنها الرؤى التزاما بالفكرة الأولى كالقول إن الكون وهم أو القول إن الإنسان من جنس أجداده البهائم... فهي مقدمات تتبعها – ضرورة – مجموعة من التصورات والمواقف التي لا

---

١ المرجع السابق، ص ص ٤٠-٤١.

٢ عبد الله سعيد الشهري: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والغيمان، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت، ط١، ٢٠١٤م، ص١٨.

يستطيع أحد أن يبرأ منها إلا أن يكذب المقدمات أو أن يرضي بالتناقض وما دام الملحد المادي لا يكون ملحداً إلا بالقول بمبادئ الإلحاد الاساسية وعلى رأسها ألا (إله) وأن الحياة أثر عن حركة الذرات فيلزمه أن يقبل ما ينتج من أفكار ضرورية عن مبادئة الأولى أو أن يقول إنه لا يأخذ المبدأ الإلحادي الأول مأخذ الجد إذ يرضى أن يعارضه بما يروق لذوقه أو يستلمحه"[١].

وبعد عرض مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحا تتبين بوضوح سافر حقيقته التي تنطوي على خلل فكري ونفسي ومرضي ويعكس حالة التشوش والاضطراب والتناقض مما يجعلنا نعالج قضية تصوره مفهومه.

١ سامي عامري: الإلحاد في مواجهة نفسه (حقيقة الإلحاد على ألسنة فلاسفته ورموزه)، رواسخ – اصدارات – دراسات – برامج، د/ت، ص ١٩.

المبحث الأول: تطور مفهوم الإلحاد

ونحن نناقش قضايا الإلحاد ومفاهيمه لا ينبغي أن نتجاوز ذلك التطور الحاصل في مفاهيمه فلم يكن الإلحاد في التاريخ شيئاً واحداً متسقا غير مختلف وإنما تغايرت السمات والملامح وكذلك المناهج.

يقول د/ محمد الجليند: " للإلحاد تاريخ طويل حافل ، وله صور كثيرة متنوعة غير أن أوسع معنى يُعزي إليه هو: أنه إنكار للتصور السائد عن الله أو عن المعتقدات الدينية ولما كان هذا التصور يمكن أن ينتقل من عصر إلى آخر لم يكن من المستبعد أن يختلف معنى الإلحاد باختلاف العصور فأحياناً يتأثر الفكر خفية بإدراك أن النظرة الشائعة عن الله غير جديرة بالدلالة على أعلى قيمة أو بأنها لا تتفق وإحساسه بالكرامة الإنسانية ولا يختلف هذا الموقف كثيراً عن دعوة من يرتدون رداء الاصلاح الديني الذين يريدون تصحيح تصورًا لفكرة دينية باستبعاد ما أُدخل عليها من نظرة مضللة عن الله وتنقية العبادات من البدع والضلالات غير أنه أطلق على هذا التيار إلحاد أيضاً فقد أُطلقت كلمة " ملحد " على " انكسا جوراس " لأنه انتقد الفكرة الدينية اليونانية عن الآلهة وأطلقت أيضاً على تلاميذ المسيح – عليه السلام – لأنهم أنكروا تعدد الآلهة عند الوثنيين وعلى (اسبنيوزا) الذي ربط بين الله والعلم على نحو مخالف للفكرة الدينية التقليدية غير أن استخدام هذه الكلمة لم يكن مناسباً في مثل هذه المواقف لأنها تتعلق بمسألة النزاع بين التصورات المختلفة عن الله ولا تنطوي على إنكار تام للآلهة إلا أن القرن التاسع عشر شهد مولد مذهب في الإلحاد كامل التكوين يرمى إلى استبعاد بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا"[1].

فالإلحاد لم يستقر على تلك الحالة المتأخرة التي تعني الإنكار العام أو انكار بعض التصورات العقائدية لدى الأديان إلا إن ذلك التصور المتأخر سبقه تطورات مهدت أو بالأحرى أسست لتلك الحالات المتأخرة من الإلحاد فما كان لفكرة من الأفكار أن تجد مكانا لها في الواقع حتى تتأسس على ركام من أفكار الماضي سواء كان استفادة واستقاء أو كان استهداء ومتابعة أو حتى مساوقة وندية وعلى كل الأحوال لم تتخرم النظرة الإلحادية الحديثة أو المتأخرة من نقاط التقاء بينها وبين الإلحاد المتقدم غذاه وأقام أوده من خلالها.

---

١ محمد شامة: محمد الجليند وآخرون ؛ عقائد وتيارات فكرية معاصرة، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر – ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢٨٨.

وفكرة الإلحاد إن صح التعبير عنه بأنه فكرة وفلسفة وذلك لكونه نظرة عدمية للإله والمعتقدات إلا إنه يشبه الأفكار في تطورها ومأخذها وكذلك اختلافها باختلاف بيئاتها أو الحضارات التي ظهرت فيها أو من خلالها فكما مرت الفلسفة بوجه عام بأطوار من قبل اليونان وظهورها في الشرق ثم الفلسفة اليونانية ثم فلسفة العصور الوسطى ثم أخيراً بالفلسفة الحديثة وفي كل مرحلة اتخذت الفلسفة سمات وملامح ومناهج مختلفة وكذلك الإلحاد وفي ذلك الشأن سار كما سارت تلك الحالات السابقة.

ولذلك يقول د/ عبد الرحمن بدوي: " ظاهرة الإلحاد من أخطر الظواهر في تطور الحياة الروحية وهي أيضا ظاهرة ضرورية النشأة في كل حضارة حينما تكون في دور المدنية وإنما تختلف وفقا لروح الحضارة التي انبثقت فيها ذلك أن الإلحاد نتيجة لازمة لحالة النفس التي استنفذت كل امكانياتها الدينية فلم يعد في وسعها بعد أن تؤمن وإذا كان الإلحاد الغربي بنزعته الديناميكية هو ذلك الذي عبر عنه نيتشه حين قال: " لقد مات الله " وإذا كان الإلحاد اليوناني هو الذي يقول: " إن الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت " فإن الإلحاد العربي – وهو الذي يعنينا هنا في هذا الكتاب – هو الذي يقول: " لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء " ذلك أن الإلحاد العربي كان لابد وأن يصدر عن الروح العربية.... "[1].

فالإلحاد مر بأطوار لم يكن في تلك الأطوار أنموذجًا واحدًا بل تعددت نماذجه واختلفت أُطُرَه فبعض الباحثين يرى أن الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله وأن الكون وُجد بلا خالق أو أن المادة أزلية وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت – بدعة جديدة في الضلالة لم توجد في جاهليات التاريخ السابقة ومن المؤكد أنها لم توجد بهذه الصورة وبهذا الاتساع الذي تمارسه الإلحادية المعاصرة في أي فترة سابقة من فترات التاريخ والآية التي يستدل بها البعض على وجود الإنكار لوجود الله تعالى في الجاهلية وذلك في قول الله تعالى: " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " (الجاثية: ٢٤).

يقول محمد قطب: " ويستدلون منها على أنه وجد في الجاهلية العربية (وبالتالي في غيرها) من ينكر وجود الله وأن هؤلاء الدهريين كما أُطلِق عليهم هم صنو القائلين بالطبيعة المنكرين لوجود الله – والآية – فيما أرى – لا تعطي هذه الدلالة بصورة

---

١ عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٥م، ص –ز – ٩.

قاطعة فإنها تقطع فقط بأن القوم المشار إليهم ينكرون البعث ولكنها لا تقطع بأنهم ينكرون وجود الله"[1].

ثم يعقب بعدها بكون الإلحاد الذي يعني إنكار وجود الله أو أن الخالق والمخلوق هو تلك المادة الأزلية أن هذا التصور حادث متأخر لم يكن عن القدامى حتى في الجاهلية ثم قال: " وما لم يثبت من مصدر يقيني أنه وُجد في العرب أو غيرهم من الأمم من قبل من ينكر وجود الله فأغلب الظن أن هؤلاء القوم المشار إليهم في الآية هم الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه هو الخالق المدبر ثم ينكرون قدرته سبحانه وتعالى على بعث الموتى بعد أن يصيروا ترابا وعظاماً"[2].

وفي تفسير الآية يقول ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى : " وقوله تعالى: " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا " الآية حكاية مقالة بعض قريش وهذه صنيفة دهرية من كفار العرب ومعنى قولهم: ما في الوجود إلا هذه الحياة التي نحن فيها وليست ثم آخرة ولا بعث "[3].

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية:

" يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا " أي: ما ثم إلا هذه الدار يحدث قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البُداءة والرجعة ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا: " وما يهلكنا إلا الدهر " قال الله تعالى: "وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون " أي يتوهمون ويتخيلون "[4].

ويُفهم من كلام ابن عطية وابن كثير رحمهما الله تعالى أن الإنكار كان هاهنا للبعث والمعاد وليس إنكاراً لوجود الله تعالى ، ولذلك فرق ابن كثير رحمه الله بين المنكرين للمعاد والقيامة والبعث وجعلهم في ناحية مستقلة عن هؤلاء الآخرين المنكرين

---

١ محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق – القاهرة، ط٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢ المرجع السابق، ص٦٠٥.

٣ ابن عطية: المحرر الوجيز، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ج٥، ص٨٧.

٤ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤٢٢،١هـ، ٢٠٠١م، ج٥، ص٨٧.

للبداءة والرجعة ثم الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع فكأنه جعل مشركي العرب مجرد متابعين للدهرية في إنكار المعاد وليسوا متابعين للدهرية المنكرون للمعاد.

وهذا التقسيم هو الذي يعنيه ابن كثير ومن قبله ابن عطية إلا إن عالماً كالرازي صاحب مفاتيح الغيب كان يذهب إلى خلاف ذلك فيرى أن المقصودين في هذه الآية هم المنكرون للبعث والمعاد وكذلك هم منكرون للخالق سبحانه وتعالى، فيقول الرازي رحمه الله تعالى:

" واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في إنكار القيامة وفي إنكار الإله القادر أما شبهتهم في إنكار القيامة فهي قوله تعالى: " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا "..... وأما شبهتهم في إنكار الإله الفاعل المختار، فهو قولهم: " وما يهلكنا إلا الدهر " يعني تولُّد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك ولا حاجة في هذا الباب إلى إثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الإله وبين انكار البعث والقيامة "[1].

ويذكر القرطبي رحمه الله تعالى أن المشركين في ذلك الأمر أصنافاً منهم هؤلاء ، ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ، ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره وحدث في الإسلام أقوام ليس يمكنهم إنكار البعث خوفا من المسلمين فيتأولون ويرون القيامة موت البدن ويرون الثواب والعقاب إلى خيالات تقع للأرواح بزعمهم فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار لأن هؤلاء يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم "[2].

فغاية الأمر أن هذا الإلحاد القديم ليس ضرورة أن يكون هو مجرد الإنكار لوجود الله وهو متحقق فيهم إلا إن الإلحاد من صورة إنكار المعاد والبعث أو كما مر نسبة أمر الحياة والموت إلى الزمان ومرور الأيام بل كما يذكر الزمخشري رحمه الله في تفسيره: " كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان

---

١ الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٢٧، ص٢٧١.

٢ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت/ عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج١٩، ص١٦٧.

وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " أي: فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر "[1].

فالإلحاد إذن يعكس حالة من الإنكار لما هو غيبي أو عقدي أو إيماني فيسلبه خاصته ويفرغه من محتواه كي يستقر في النهاية على رد الاعتقادات وتقليص دورها ، ولذلك فهو على مراتب من حيث النظر إلى مبدا وجود الله تعالى والوحي والنبوة خمسة مراتب عقدية رئيسة وهي على ترتيب من أشدها تنكراً لهذه القضايا والمبادئ.

١) الإلحاد الصلب أو الإلحاد الإيجابي (Atheism): وهو الإلحاد الذي يؤمن صاحبه بعدم وجود الخالق وبالتالي يتنكر للوحي وللنبوات ولا يتدين بدين هذا من جهة الأصل كمفهوم حديث للإلحاد وإن كانت بعض الملل تمارس طقوساً دينية وتؤمن بقدر من الغيبيات لكنها لا تؤمن بوجود الله كمرتكز عقدي لها كالبوذية مثلاً.

٢) الإلحاد السلبي أو اللا أدري (Agnosticism): وهو الإلحاد الذي لا يؤمن صاحبه بوجود الخالق لكنه أيضاً لا يؤمن بعدم وجوده بل يقول: ليس عندي دليل يدل على وجوده فلست مؤمناً بوجوده ولا عندي دليل أيضاً على عدمه فلست مؤمنا بعدمه بل متوقف في شأنه لا أثبت ولا أنفي.

٣) الربوبية (Deism): وهو موقف عقدي يؤمن صاحبه بوجود خالق لهذا الكون لكنه ينكر صلة هذا الخالق بهذا الكون عبر الوحي والرسالة ، فالخالق في هذا المنظور العقدي خلق العالم ثم تركه فلم يكلف الخلق إيماناً ولا تديناً ولا هو بالذي يسمع دعوات الداعين ويستجيب لهم ولا يتدخل في شؤون هذا الكون بالمعجزات والخوارق ولا أرسل رسلا ولا أوحى بشرائع ، والتعرف على هذا الخالق إنما يتم عن طريق التأمل في الكون والاستدلال العقلي عليه دون إخبار الأنبياء والرسل[2].

وقضية وجود الله تعالى وربوبيته تعالى لا تخرج عند الملاحدة العرب عن دائرة المذاهب الشكية وهي قريبة من اللا أدرية ، والشكية الريبية الحديثة تتمثل في التصديق بما تنقله الحواس وفي إثبات حقيقة العالم المادي لا غير وفي الشك في وجود الله.

٤- واللاأدرية ويسمى اللاعرفانية ويقوم على الإنكار الكلي أو الجزئي لإمكان معرفة حقيقة الأشياء أو البت في المسائل الماورائية كوجود الله ونهاية الكون وهي وجهة نظر تنكر إمكان التأكد من وجود الله تعالى ويقولون إن إثبات وجود الله أو انكاره مستحيل.

---

١ الزمخشري: الكشاف، ت/ عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١ ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج٥، ص٤٨٧.

٢ انظر: عبد الله العجيري: ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، وتكوين للدراسات والابحاث، ط٤، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨، ص٢٠.

٥- والمادية: وهذا الاتجاه الفلسفي يقرر بأن لا وجود لأي جوهر غير المادة وجميع الظواهر النفسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ؛ إنما يفسرها الوجود المادي ويتضمن هذا المذهب المادي أن هذا العالم أبدي ولا محدود في الزمان والمكان ولهذه المادية فروع:

- المادية الاقتصادية: وهي تقوم على اعتبار الاقتصاد القوة الوحيدة في التطور الاجتماعي.

- المادية التاريخية: وترد حركة التاريخ إلى تطور قوي وعلاقات الانتاج في المجتمع.

- المادية الجدلية: وفيها يتقرر أن الوجود كله وحده متماسكة تترابط فيه الأشياء والأحداث ارتباطا عضويا وفي حالة حركة وتجدد دائمين والمادي الجدلي في حالة صراع صريح عنيف ضد العقائد الأخرى وخاصة الأديان[١].

وفي هذا المبحث تم عرض تطور مفهوم الإلحاد من القديم إلى الحديث ومع ارتباط كلا المفهومين ببعض الروابط والوشائج إلا أن هناك فارقا ملحوظا يظهر بين المفهومين وذلك التطور الذي عرضنا له في هذا المبحث هو من الأهمية بمكان لعدة أسباب هي:

١- بيان اختلاف الإلحاد الجديد عن القديم في الأفكار.

٢- يساعدنا الحديث عن تطور المفاهيم معرفة التأثير والتأثر بين تلك الأفكار والأنساق المعرفية.

٣- مما يجعلنا نقف على أساس الأقوال وحقيقتها كي نجد لها علاجا ناجعا مناسبا.

ولذلك سنقف في المبحث التالي على تلك التشكلات الإلحادية والتمظهرات لهذه الظاهرة الإلحادية حتى يتبين لنا حالة الاتفاق والافتراق بين الأفكار ومعالجتها معالجة مناسبة فالإلحاد القديم كانت له طبيعة تختلف عن الإلحاد الجديد فكانت له طرق معالجة تختلف عن طرق مجابهة الإلحاد الجديد وسيأتي بيان سبل المواجهة في المبحث الخامس والأخير لهذا البحث إن شاء الله تعالى.

١ سعيد ناصر الغامدي: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (دراسة شرعية نقدية)، دار الأندلس الخضراء –جدة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص ص ١٠٩ – ١١٠.

المبحث الثاني: تشكلات الإلحاد قديما وحديثا

إن مما يكاد يجمع عليه الباحثون المحدثون أن الإلحاد المعاصر يختلف اختلافا بينا عن الإلحاد القديم ولكن هذا الإلحاد بوجه عام تمظهر في ثياب مصطلحات أخرى اندرج تحتها التنكر لبعض الاعتقادات والغيبيات أو حتى إنكار وجود الإله وإن فهم هذه القضية والتعريج عليها يعكس لنا تلك الحالة المزرية للإلحاد المعاصر الذي فاق الحد حتى صار خطرًا يهدد المجتمعات والأفراد بل والحكومات والدول مما يستدعي هيكلة مناهج وتكتلات دفاعية تقف سداً منيعا ضد تلك الغارات الإلحادية الشرسة الخطرة على الدين والإيمان والأمة ولنقف في هذا المبحث على تشكلات الإلحاد وتمظهراته.

*** مصطلح الزندقة:**

وتكمن أهمية هذا المصطلح أنه يتعلق بمصطلح الإلحاد تعلقاً مباشراً لاتصالهما في قضاياهما المطروحة وكذلك تكمن خطورة هذا المصطلح أن الزنادقة كانوا سبب ثورات سياسية وأعمال تخريبية، والزندقة في الحقيقة تعكس أفكار المذاهب المنحرفة بل هي استنساخ لهذه الأفكار المشوهة والزندقة تعريفها في المعاجم اللغوية يعكس ما تقدم ذكره ؛ يقول ابن منظور: " زندق: الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية: زندكراي يقول بدوام بقاء الدهر والزندقة الضيق وقيل: الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه، التهذيب: الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق..."[١].

وفي المعجم الوجيز: " تزندق: زنديقاً، الزندقة: القول بأزلية العالم وأطلق على الزرادشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية وتوسع فيه فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد (الزنديق: من يؤمن بالزندقة "[٢] ، فدخل الإلحاد في باب الزندقة ويشمله المصطلح لأنه يناقش قضايا الإلحاد وقد رد عليهم الإمام أحمد وألف فيهم كتابا أسماه " الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله فعرض لشكهم وشبهتهم في القرآن وزعمهم بتناقضه [٣].

وهذا اللفظ كما تبين ليس عربيا ولكنه أعجمي معرب وقد رد العلماء كل الإلحاد الواقع في الدين وكذلك في القرآن الكريم والعقائد الدينية تحت هذا المصطلح لذلك يقول ابن تيمية رحمه الله:

---

١ ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٨٧١.

٢ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ/١٩٩١م، ص٢٩٣.

٣ أنظر: أحمد بن حنبل: الرد على الجهمية والزنادقة، ت/ صبري سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٥٨، باب (بيان ما ضلت فيه الزنادقة).

" وأيضاً فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب أُخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرِّب وقد تكلم به السلف والأئمة في توبه الزنديق ونحو ذلك فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أو وثنياً وسواء كان معطلاً للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين "[1].

وقد ذكر ابن تيمية أن الزندقة نوعان مقيدة ومطلقة فقال: " وأما الزندقة المطلقة: فهو أن ينكر أصل المعاد عقليا وحسيا وينكر الصانع للعالم أصلا ورأسا ،وأما إثبات المعاد بنوع عقلي من نفي الآلام واللذات الحسية وإثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الأمور فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الأنبياء "[2].

وفي هذا بيان أن الإلحاد ليس شيئا واحداً بل هو متعدد تعدد تلك المناقضات لأصول الدين وعقائده ومحكماته وكذلك الإنكار لها والتصريح به هو من أبواب النفاق وهو إظهار الإسلام وابطال الكفر وهذه المرحلة من الإنكار كانت بواكير الإلحاد كما ذكر ذلك د/عبد الرحمن بدوي ذكر أن معرفة الزندقة هام في معرفة نشأة بعض الفرق التي ردت على الزنادقة وفندت أقوالها لذلك ذكر عناية المستشرقين بقضية الزندقة فقال: " عنوا بدراسة هذا التاريخ لأنه بدون إيضاحه وتعمقه لن نستطيع أن نفهم كيف نشأت بعض النظريات في علم الكلام بل بعض المذاهب الكلامية التي ازدهرت خصوصاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة إذ إن الكثير من نظريات مذهب كمذهب المعتزلة لا يمكن أن يفهم بدون معرفة هذه الخصومات الكثيرة العنيفة التي كانت تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة...."[3].

وهذا يظهر جلياً في رد المعتزلة على تلك الفرق الملحدة المتزندقة كما فعل القاضي عبد الجبار وهو من رؤوس المعتزلة في رده عليهم في كتابه المغني حينما رد على

---

١ ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، ت/ موسى سليمان الدرويش، مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ص ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

٢ المصدر السابق ، ص ٣٣٦.

٣ عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٢٣.

طوائف من الملاحدة والزنادقة وهم الثنوية وبين أن فساد أقوالهم ذكره يغني عن نقضه فقال:

" اعلم أن كثيراً من المذاهب يستغنى بذكر تفصيله عن التشاغل بذكر نقضه أو إفساده لتناقضه في نفسه وكونه غير مبني على الأدلة والحجاج وعلى أصول مقررة ولكون كثير منه غير معقول ومذاهب الثنوية من هذا القبيل..."[1].

ومن هذا القبيل رد ابن الخياط المعتزلي على ابن الراوندي الملحد في كتابه الانتصار وقد رد فيه على ملحد يبطل توحيد الله تعالى ويجحد رسالة النبي عليه السلام وكذلك إبطاله حدوث الأجسام وكذلك القول بقدم العالم وأن لا صانع له ولا مدبر ولا محدث ولا خالق له وقد رد عليه ابن الخياط في كتابه على كل ذلك[2].

وتعتبر مرحلة ابن الراوندي هي أوج ظاهرة الإلحاد في التاريخ الاسلامي فقد ألف كتبا للانتصار للإلحاد مما دعى الناس إلى الرد عليه[3] ، وفي كتابات ابن الراوندي ظهر الإلحاد ونشر مذهب البراهمة ويذكر دكتور عبد الرحمن بدوي المؤثرات في الإلحاد وتطوره فيقول:

" شاهدنا كيف بدأ الإلحاد في الإسلام تحت تأثير عوامل فكرية خالصة ففريق ألحد عن الدين لأسباب من العصبية القومية حملته على أن يتعصب لدين آبائه من المجوس والثنوية المانوية كما فعل ابن القفع وبشار وفريق تزندق فراراً من تكاليف الدين وطلبا لسلوك مسلك الحياة الماجنة الحرة السمحة دون أن تتأثر بشك فكري واضح كما هي الحال بالنسبة إلى كثير من الشعراء ممن ينتسبون إلى " عصبة المجان " على حد تعبير أبي نواس ، وفريق ثالث تنازعه العاملان فجمع بين سلوك المجان وبين عصبية الشعريين مثل أبان بن عبد الحميد وخلال هذا التطور رأينا المنحنى يسير صوب الجانب الروحي أكثر فأكثر ، وإن كانت العوامل الفكرية العميقة لم تؤثر تأثيرها الحاسم بعد اللهم إلا عند ابن المقفع الذي يمثل خصوصاً جانبا عقلياً بارزاً وإن تلفع بالغموض والتقية ثم شاهدنا هذه الحركة المتصاعدة تبلغ أوجها عند ابن الراوندي: فبعد أن كانت مجرد مزاج روحي أو موقف فكري مؤقت غير واضح صارت مذهباً شاملاً أقيم على

---

١ القاضي عبد الجبار: المغني في ابواب التوحيد والعدل،(الفرق غير الإسلامية)، ت/ محمود محمد قاسم، د/ت/ ج٥، ص١٠.

٢ انظر ابن الخياط المعتزلي: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ت/ د/ نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، أوراق شرقية، ط٢، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٢.

٣ انظر: عبد الأمير الاعسم: تاريخ ابن الريوندي الملحد (نصوص ووثائق من المصادر العربية خلال الف عام) منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م، ص ١٥ – وما بعدها.

أسس من العقل وأصبح ذا أنصار يؤمنون به لأسباب عقلية فكرية وكانت فكـرة النبـوة هي حجر الزاوية في هجوم هذا الإلحاد على الإسلام... "[1].

وذلك الطور الأول للإلحاد يكشف لنا ذلك الأثر الذي خلفته الزندقة من عقائد.

" إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كما هائلاً من صنوف الكفر البواح والـردة الظـاهرة: كقولهم بالحلول وتأليه البشر وتشبيه الله تعالى بخلقه وإنكار النبوة أحياناً وإدعـاء النبـوة أحياناً أخرى والقول بالتناسخ وإنكار القيامة والجنة والنار واستحلال المحرمات وجحـد الواجبات"[2].

وبذلك يظهر لنا خطورة هذه الزندقة وهذا الإلحاد على العقائد الدينية والأصـول الإيمانية لدى الناس في الزمان المتقدم والمتأخر على السواء.

***مصطلح معطلة العرب:**

وهذا المصطلح ذكره الشهرستاني وصنع له بابا في كتابه (الملل والنحـل) ذكـر فيـه الملاحدة في العرب

تحت عنوان " معطلة العرب " وهم الذين عطلوا المصنوعات عن صانعها والمخلوقـات عن خالقها وجعلهم ثلاثة أصناف.

١) الصنف الأول: منكرو الخالق والبعث والإعادة وهم الـذين قـالوا بـالطبع المحيـي والدهر المفني وقصروا الحياة والموت على تركيب الطبائع وتحللها فالجامع هـو الطبـع والمهلك هو الدهر.

٢) الصنف الثاني: منكرو البعث والإعادة: وهم الذين أقـروا بالخـالق وابتـداء الخلـق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة.

٣) الصنف الثالث: منكرو الرسل: وهم صنف أقر بالخالق وابتداء الخلـق ونـوع مـن الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام [3].

وتحت هذه الأصناف وهذه الأفكار تتمظهر أفكار المتـأخرين وعرضـنا لـذلك التطور يؤكد على شيء في غاية الخطورة والأهمية وهو أن بناء الأفكار وتبنيهـا ينـشأ عن اتباع الآراء الضالة والفرق المنحرفة.

١ عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ١٩٨.

٢ عبد العزيز محمد علي: مقالات في المذاهب والفرق، دار الوطن للنشر – الرياض، ط١، ١٤١٣هـ / ص ٢٨-٢٩.

٣ الشهرستاني: الملل والنحل، ت/ أمير علي مهنا، علي حسن فاعود، دار المعرفة – بيروت، ط ٣ ١٩٩٣م /١٤٢٤هـ،ج٢، ص٥٨٢.

*** مذاهب حديثة تحمل الإلحاد:**

ما من فكرة تنشأ إلا كانت أثرا لالتزام أصحابها بها فيحملوها وينافحوا عنها سواء كانت حقا أو باطلاً وفكرة الإلحاد إن صح التعبير عنها بفكرة نشأت ونبتت في بعض المذاهب المحدثة منها:

١) الماركسية الشيوعية:

والشيوعية ليست مذهباً اقتصادياً بحتا كما يتبادر إلى ذهن كثير من الناس وإن كان لها بلا شك مذهب اقتصادي محدد وإنما هي تصور شامل للكون والحياة والإنسان ولقضية الألوهية وعن هذا التصور السابق ينبثق المذهب الاقتصادي.

" وبديهي أن التصور الشيوعي للألوهية والكون والحياة والانسان هو تصور مادي بحت، فهم يسمون نظريتهم العامة " المادية الجدلية " ويسمون تفسيرهم للتاريخ " التفسير المادي للتاريخ " ومن أقوالهم: لا إله والكون مادة، وحدة العالم تنحصر في ماديته، المادة سابقة في الوجود على الفكر، لم يكن هناك وقت لم تكن المادة موجودة فيه وليس هناك وقت لا تكون المادة موجودة فيه، الإنسان نتاج المادة، الفكر نتاج الدماغ والدماغ مادة.... الخ"[١].

وفي تعريف الشيوعية في الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب:

" الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي ، ظهرت في المانيا على يد ماركس وإنجلز وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م، بتخطيط من اليهود وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار وقد تضرر المسلمون منها كثيراً وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق "[٢].

وكما نرى أن اليهود لهم سبب في ظهورها لكي تتحقق مآربهم على زبالات الأفكار ولكي تقيم لها ملكا على أشلاء الأمم والدول وقد تم لها ذلك ، وهاهنا يظهر خطر الإلحاد الجسيم الذي يدعو له البعض أو قد يغرر به آخرون فيفسدون ويدمرون الشعوب والأوطان بأيديهم وأيدي هؤلاء المجرمين.

---

١ محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ص ٢٦٠.

٢ الموسوعه الميسرة: ج٢، ص٩١٩.

*** أفكار ومعتقدات الشيوعية: -**

ونعرض هذه الأفكار وآثارها الخبيثة ونتائجها المريعة كي يتبين خطر الإلحاد ونبذ الدين والتجاوز في حق المقدسات فمن أفكارها:

١. إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات والقول بأن المادة هي أساس كل شيء وشعارهم نؤمن بثلاثة ماركس ولينين وستالين ونكفر بثلاثة: الله والدين والملكية الخاصة.

٢. يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب وخادماً للرأسمالية والامبريالية والاستغلال مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دين ليستعيد حقوقه المغتصبة ولا يخفي ذلك التكريس لشأن اليهود في مذهب الشيوعية المقيت.

٣. يعتقدون بأزلية المادة وأن لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.

*** نتائج وآثار هذه العقائد المنحرفة:**

نتج عن هذه العقائد أضرار جسيمة حلت بالبلاد والعباد ومن ذلك:

١. تؤمن الشيوعية بالصراع والعنف وتسعى لإثارة الحقد والضغينة بين العمال وأصحاب الأعمال.

٢. تنكر الماركسية الشيوعية الروابط الأسرية ولابد وأن تحل محلها الفوضى الجنسية.

٣. لا يُحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم وهي أن يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم ولذلك قال لينين: " إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء إنما الشيء المهم هو أن يصبح الربع الباقي شيوعياً "

٤. يهدمون المساجد ويحولونها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب ويمنعون المسلم من إظهار شعائر دينه أما اقتناء المصحف فهو جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة سنة كاملة.

٥. لقد كان توسعهم على حساب المسلمين فكان أن احتلوا بلادهم وأفنوا شعوبهم وسرقوا ثرواتهم واعتدوا على حرمة دينهم ومقدساتهم.

٦. يعتمدون على الغدر والخيانة والاغتيالات لإزاحة الخصوم.

وهذا الخطر الشديد للشيوعية هو في الحقيقة يتمثل في اعتقاداتهم وإلحادهم الذي يسول لهم ذلك ويبيحه لهم حتى غدا كل شيء مباح لهم فاستباحوا حرمات ومقدسات الدين ، وهذا من أخطر جرائم الإلحاد على مر العصور، والشيوعية وإن كانت قد اندثرت مذهبا ودولة إلا إن بقاءها فكراً وأيدولوجية في عقول بعض الناس لا يزال

موجوداً ، وإن لم يكن موجوداً برمته إلا إنه إذا تحقق في إنسان بعض هذه الأفكار والمعتقدات فقد تحقق فيه بعض هذا الإلحاد البغيض.

ودور اليهود في تلك الحركات الإلحادية كما مر دور لا يغفل لأن هذا من معاقد الإلحاد المعاصر وكذلك انتشرت العلمانية واللادينية والماركسية ففي الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب:

" الحركة الصهيونية أرادت نشر الإلحاد في الأرض فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم.

– نشر اليهود نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظريات فرويد في علم النفس ونظرية دارون في أصل الأنواع ونظريات دوركايم في علم الاجتماع وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم "[1].

ولذلك تسعى الشيوعية كفكر إلى استئصال كل ما هو ديني فترفض أي تنظيم ديني للمجتمع الإنساني وبغض الملاحدة للدين والتنقص له وإزراءه يراه كل من يطالع كلامهم وحواراتهم فتهوين للتعاليم الدينية ووصمها بكل ما هو بغيض والتحقير من شأن الأوامر الشرعية " وإنكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع لذلك فإن الشيوعية لا تطيق الإسلام لأنه يشارك الأديان السماوية في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي ويمتاز بهيمنته على الحياة الإنسانية وتنظيمه لها تنظيما دقيقا وشاملاً لكل جوانبها فالإسلام " عقيدة وشريعة " والعلاقة بينهما قوية واضحة فالعقيدة هي أصل يدفع إلى الشريعة والشريعة انفعال القلب والوجدان بالعقيدة "[2].

وهكذا تسير الشيوعية والإلحادية في طريق الاصطدام بالدين اصطداما مباشراً ولا تستقيم طريقتها إلا بمجابهة الدين والأحكام الشرعية.

وفي الحقيقة إن نظرة الشيوعية الإلحادية نظرة قاصرة عن فهم المعاني الدينية والإنسان عدو ما يجهل وإن ما حدى بهم لاعتبار أن الدين واجب الإلغاء هو لاعتبارات ساذجة عندهم ومن ذلك[3]:

---

١ المرجع السابق، ص ٨٠٣.

٢ محمد مجاهد نور الدين: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، دار هجر للنشر والتوزيع، د/ت ج٢، ص٢٢٩.

٣ انظر محمد فاروق الخالدي: التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، دار المعالي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص١١٣.

١) الدين خرافة ونحن الآن في عصر العلم ومن الذي يتصور أن هناك تعارضا بين العلم والدين إلا من لم يستطع عقله القاصر أن ينظر الانسجام بينهما والتناغم الحاصل بين كليهما.

٢) المادة هي الأصل وهي سابقة في الوجود على الفكر وهو في الحقيقة انتكاس للفطرة وارتكاس لها.

٣) يرون أن الدين أفيون الشعوب كان رجال الإقطاع والرأسمالية يستخدمونه لتخدير الجماهير كي ترضى بالظلم الواقع عليها ولا تتمرد عليه ، وهذه كذلك لا تعبر عن الدين بوجه من الوجوه إذ إن الدين يخالف تلك النزعة ولا يتشوف لها ، ولا يقبلها فالادعاء بهذا مردود لا يسوغه أي تصرف خاطئ من التصرفات.

*** المطامع اليهودية وانتشار الإلحادية:-**

الشيوعية الإلحادية هي في الحقيقة وليدة الصهيونية ومخططات اليهود والانخراط في أمثال هذه الأفكار يودي بالمجتمعات إلى غزو عاجل أم آجل لليهود للبلاد ولن يتحقق لهم ذلك الغزو إلا بعد غزو فكري يجتث الدين ويزعزعه ؛ فالشيوعية فكرة صهوينة تخطيطاً وتطبيقاً وعندما أعلنت ثورة أكتوبر الشيوعية عام ١٩١٧م تولى رئاسة الحكومة اليهودي الصميم " لينين" وتولى وزارة الحربية " تروتسكي " اليهودي الذي أسس الجيش الأحمر، فقد كان لينين يهودياً من ألمانيا ينتمي لأبوين يهوديين وكانت زوجته يهودية كذلك والحزب الشيوعي في تشكيل حكومي في روسيا كان فيه ٤٤٧ عضواً من أصل ٥٤٧ عضواً من اليهود الغلاة المتعصبين.

وكذلك أسهم أثرياء اليهود في أمريكا في تقديم الملايين للثوار البلشفيك وفي الأيام الأولى للثورة استولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشعب الروسي وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال[١].

وكما كان لينين يهوديا كان ماركس كذلك يهودياً وهما مؤسسا الشيوعية لذلك الحذر الحذر من تلك الدعوات المشؤومة لأن وراءها ما وراءها فلا ينبغي للأغرار أن ينساقوا وراء كل دعوة ولما يعرفوا أساسها والداعي إليها وقد استطاع الغزو الفكري أن يؤثر على ضعاف العقول ويغرس فيها الأباطيل وقد ذكر د/ علي محمد جريشة في كتابه أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي وقد تكلم عن خطورة الفكر الإلحادي الماركسي وأنه أسلوب من أساليب الغزو الفكري والثقافي فيجب الحذر منه فيقول د/

---

١ انظر المرجع السابق، ص ١١٥.

جريشة: " لكن الماركسية أخطر على الشرق الإسلامي من الغرب بما تحمل من أسلوبها من خداع ينطلي على عامة الناس...... ثم بما تحمل في غايتها تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على دينها باعتبارها في البداية وفي النهاية قائمة على الكفر والإلحاد في أسمائه ورفض كل الأديان وإن اتخذت تخطيطا مرحليا بعدم الهجود على الأديان أو الزعم بأنها تسمح لها بالوجود أو البقاء أو بالالتواء بهذه الأديان... "[1].

وهذا الغزو الثقافي الفكري كما مر يؤثر تأثيراً بالغا فيما بعد على الأمم والشعوب التي يراد لها الخفوت وأن تستلب حريتها ومقدراتها تحت أقدام الإلحاد كما فعلت الماركسية الشيوعية بل وكما صنعت الداروينية ومذهب التطور الإلحادي التي تدعي العلمية مع مناقضتها له ومناقضتها للدين وكان لها أخطار استعمارية ومآرب خبيثة وفي ذلك يقول د/ محمد عمارة رحمه الله: متحدثاً عن نظرية التطور الإلحادية لداروين التي تقرر الوحدة لأصل الأنواع الحية بدءاً من الخلية الواحدة التي تخلقت ذاتياً ومروراً بالحيوانات الفقرية حتى القردة التي هي أصل الإنسان.

يقول د/عمارة: " فهذه الإضافة الغربية ذات النزعة المادية الإلحادية لزعمها التخلق الذاتي للحيوان ذي الخلية المفردة والمفتقرة إلى الصدق العلمي لاختراعها قانوناً عاما بناء على استقراء ناقص.. كما أثبت ذلك علماء أوربيون وغربيون أيضاً هذه الإضافة الغربية قد أتى على بلادنا حين من الدهر ابتلعتها حياتنا الثقافية والفكرية والتعليمية مع ما هو – في التطور – " مشترك إنساني عام " وهذا لون من ألوان الغزو الفكري الذي لا يميز بين الخصوصيات الحضارية " وبين المشترك الإنساني العام"[2].

فالخطر الداهم يكمن هاهنا في الغزو الفكري الذي هو نقل لفكر وحضارة مختلفة المأخذ والمشرب والطريقة والبيئة لكي نستوردها ونقحمها اقحاماً على بيئاتنا الإسلامية فتؤثر تأثيراً بالغاً على هويتنا الثقافية وتعمل على تجريف المباني العقدية والإيمانية مما يعود في النهاية على الأمة الإسلامية بالفساد والدمار سلم الله بلادنا منه ومن ويلاته.

ولكي تتأكد نظرية الإلحاد والمطامع الاستعمارية وتلك نقطة لا ينبغي تجاوزها أو التقليل منها إذ إنها عامل رئيس لظهور الإلحاد وانتشاره منذ بداياته حتى عصرنا الحاضر.

١ على محمد جريشة، محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٠٣.

٢ محمد عمارة: الغزو الفكري وهم أم حقيقة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، مطابع روز اليوسف، إيداع، ٣٨٣١/ ٨٨، ص١١٣.

وفي هذه النظرية وآثارها يقول د/ عمارة: " وقالت الداروينية أيضاً بتأسيس التطور والارتقاء على " التناقض المطلق " وزعمت أن قانون الحياة والأحياء هو صراع الأضداد على البقاء وأن البقاء في هذا الصراع ومن ثم الارتقاء هو للأقوى لأن هذا الأقوى هو الأصلح فكان أن أعطت هذه الفكرة الدروينية للحضارة الغربية في عصر الكشوف الجغرافية والمد الاستعماري التبرير والمشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم والحضارات التي ابتليت باستعماره من قهر ونهب وإبادة ومسخ ونسخ وتشويه فإذا استرق الغرب الشعوب الملونة استرقاقا جماعياً فأقام رخاءه المادي على جماجمهم وسير سفن سعادتهم في بحار عرقهم ودمائهم فذلك مشروع لأنه هو الأقوى فهو الأصلح للبقاء وفقاً لهذا القانون العلمي الذي زعمته الداروينية"[١].

***مصطلح العلمانية:**

وكذلك كانت العلمانية وافداً من وافدات الاستعمار لبلاد الإسلام والمسلمين وهي كذلك نظرة ترفض الدين ولا تأبه به وتقزمة.

يقول د/ محمد عمارة معرفا العلمانية: " مصطلح العلمانية " هو الترجمة التي شاعت بمصر والمشرق العربي للكلمة الانجليزية Secularism بمعنى الدنيوي والعالمي والواقعي – من الدنيا والعالم الواقع – المقابل " للمقدس" أي الديني الكهنوتي الغائب عن السماء والمحتكر لسلطتها والمالك لمفاتيحها والخارق للطبيعة وسننها والذي قدس الدنيا قداسة الدين وثبت متغيراتها العلمية والقانونية والاجتماعية ثبات الدين"[٢].

وهذا هو منطلق العلمانية التي يتبجح بها البعض وينتسبون إليها افتخاراً وزهواً وهي في الحقيقة من عوامل الإذلال ليس إلا فهي أول دعامات الغزو الفكري والحربي ضد الإسلام والمسلمين وفي ذلك يقول د/ عمارة: " هكذا نشأت العلمانية في سياق التنوير الوضعي الغربي لتمثل عزلاً للسماء عن الأرض وتحريراً للاجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإسلامية وحصراً لمرجعية تدبير العالم في الإنسان باعتباره " السيد " في تدبير عالمه ودنياه فهي ثمرة من ثمرات عقلانية التنوير الوضعي الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين وهي قد أقامت مع الدين – في تدبير العالم – قطيعة معرفية "[٣].

---

١ المرجع السابق، ص ١١٣.
٢ محمد عمارة: العلمانية بين الغرب والإسلام، دار الدعوة للنشر والتوزيع – الكويت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص٥.
٣ المرجع السابق، ص ص ٨-٩

وفي سياستها الاستعمارية يقول د/ عمارة: " وفي كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للإستعمار الغربي سلطة ودولة أخذ هذا الاستعمار شيئاً فشيئا – يحل النزعة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل " الإسلامية " ويزرع القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها"[1].

وبعد هذا العرض للتطور والتشكل والتمظهر في كيانات الفكر الإلحادي يتبين لنا خطر هذا الفكر على المجتمعات والافراد وكذلك خطر هذا المد الإلحادي على ثوابت الدين والتي هي حصن منيع للاستقرار وتحقيق الأمن والأمان.

المبحث الثالث: أسباب الإلحاد المعاصر ودوافعه ومخاطره

في الحقيقة إن الإلحاد لم يظهر كفكرة أو مبدأ عند البعض إلا على أسباب ودوافع قادت إليه إما لأسباب نفسية أو اجتماعية أو حتى سياسية كما مر ومن دوافع الإلحاد في الفهم القرآني يؤكد أن للإلحاد دوافع نفسية وثانوية أكثر مما هي وليدة شبهات نظرية علمية وحينما نتكلم ونناقش الإلحاد المعاصر لا نستطيع أن نتجاوز بداياته فالإلحاد منتج أوروبي في المقام الأول ولن نستطيع فهمه والتصدي له وكذلك معرفة الأسباب حتى نتعرض لنشأته وأصوله.

إن ما يتأكد بيقين أن إنكار أساسيات النظرة الدينية ونشأة الإلحاد لم تكن مشكلته علمية على الإطلاق بل هي مشكلة فلسفية نفسية ترجع لعدة أسباب أهمها[2]:

١– ادى ما تعرض له العلماء من اضطهاد وتنكيل على أيدي رجال الكنيسة إلى تبنيهم موقفا عدائيا من الدين.

٢– ثبت أن قوانين الطبيعة قد شكلت الكون بعد مليارات السنين كما طرحت الداروينية أن الإنسان قد نشأ تطورا فرأى الكثيرون في ذلك أن ليس للإله علاقة مباشرة بالكون والإنسان وإن وجدت علاقة فهي غير مباشرة وبعيدة جداً.

٣– بعد توصل نيوتن لقوانينه سادت النظرية المادية وصار ينظر إلى النظام الشمسي بل والى جسم الإنسان باعتبارهما كالساعة الزنبركية التي تملأ ثم تترك لتعمل تلقائياً دون الحاجة لإله وبذلك تلاشت النظرة الغائية التي تعني أن لله غاية من الكون الإنساني.

---

١ المرجع السابق، ص١٠.

٢ عمرو الشريف: وهم الإلحاد، تقديم د/ محمد عمارة، مجلة الازهر، هدية المحرم ١٤٣٥هـ، ص ص ٢٤ –٢٥.

٤- نجح العلم في التنبؤ بالظواهر الطبيعية فأصبح الإنسان مثلا يتحاشى الإبحار في يوم محدد تفاديا لهيجان متوقع للبحر أقنع الإنسان بجدوى العلم وفي المقابل بسذاجة تنبؤات رجال الدين.

٥- بعد أن تلاشى دور الإله في حياة البشر بزعمهم لم يعد هناك مبرر لأن يضع لهم منظومتهم الأخلاقية وارتبطت القيم الأخلاقية بمصالح البشر المادية العاجلة.

٦- قدم العلم للإنسان متوسط عمر أطول كثيراً من ذي قبل كما قدم له انجازات علمية وحضارية حققت له ثراء ورفاهية لم يكن يتصورها في يوم من الأيام فبدلت عقيدته من الإيمان بالله إلى الإيمان بالإله إلى الإيمان بالعلم وقدراته وانجازاته.

*** أسباب الإلحاد في العالم العربي:**

الإلحاد العربي في عمومه يرجع إلى أسباب شخصية واجتماعية ومعرفية لكن هناك أسباب محورية أبرزها الباحثون في ذلك الباب وهي تعكس الحالة الإلحادية العربية المعاصرة وقد يتفق مع هذه الرؤية أناس ويخالفها آخرون إلا إن الحقيقة النهائية أن الواقع أفرز أشكالا من الإلحاد فلنعرض لها:

١) الثورات العربية [١]: يرى بعض الباحثين أن الثورات العربية كانت من أسباب بروز الإلحاد وذلك لغلبة المزاج الثوري الذي انتقل إلى كل الثوابت ومن أهم هذه الثوابت الدين ، ومثال ذلك صعود الإلحاد بعد الثورة الفرنسية والثورة البلشفية وهو حكم لا يعمم ولا يضخم.

٢) صعود موجه عارمة للإلحاد في الغرب: مما كان داعياً إلى بلوغ آثارها إلى بلادنا العربية.

٣) ثنائية القابلية والتأزم: وهو وجود القابلية للإلحاد وهي قابلية قد تكون نفسية أو فكرية ؛ أما المقصود بالتأزم هو أن يقع الشخص في أزمة أو ابتلاء أو محنة والابتلاء قد يكون قائداً إلى الإيمان أو الإلحادية على حد سواء لكن إذا وجدت القابلية فإنها تحول الأزمة إلى إلحاد.

أولاً: الأسباب الشخصية للإلحاد:

١. الثقة الزائدة بالنفس والغرور المعرفي: وهذا يتأتى من خواء إيماني واعتقادي لأن الإيمان إذا لم يكن متمكنا في القلب على أسس علمية صحيحه قاده ذلك في ظل الثقة الزائدة بالنفس والاغترار بهذا الزخم العلمي والتقني يقوده إلى الإلحاد.

---

١ انظر هشام عزمي: الإلحاد للمبتدئين (دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد) مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط٣، ٢٠١٦ م، ص ٢

٢. الجفاف الروحي: وينشا ذلك لعدم وجود تلك الحياة العبادية التي تخلص النفس من قسوتها وانفلاتها وتروي ظمأها الروحي والوجداني.

٣. السطحية الفكرية: وهذه سمة كثير من يقع في الإلحاد إذ إنه لا يركن إلى قواعد علمية رصينة وإنما هي سطحية معرفية وفكرية وصاحب هذا الفكر لا يستطيع أن يحكم على الاشياء حكما سلبياً لتشوش فكره وعدم اكتماله.

٤. الاندفاع والعجلة: وهو جانب نفسي يمتاز به الملاحدة الجدد فنجد عدم الرؤية والاندفاع بلا حاكم أو ضابط مما يوقعهم في كوارث سلوكية واجتماعية وفكرية.

٥. سطوة الشهوات ومحاولة الهروب من وخز الضمير وحين يتجرأ الإنسان على الشهوات وتقوده إلى المحرمات فيعايش حالة من الصراع بين ما هو أخلاقي وما هو طبيعي شهواني فيريد الانخلاع من ذلك الصراع بهروبه من الإيمان إلى الإلحاد.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية: وهي التي تنبع من المجتمع المحيط بالملحد أو المُنكر:

١. الجمود الديني: فهو تدين لا يفي بالغرض بل هو هش ضعيف ولهذا الضعف والانخفاض في التدين صورتان: انخفاض مستوى التعليم الديني مع انخفاض مستوى الالتزام بالطاعات والعبادات.

٢. اضطهاد المرأة: ولذلك التيار الإلحادي الجديد يستقطب النساء بدعوى التحرر من التسلط عليهم وهذه الحالة هي موجودة بالفعل في الواقع العربي ففي بعض البيئات نجد تسلطا وظلما واضطهادا للمرأة مما يقودها إلى الانخلاع من ربقة الدين وخاصة إذا كان الاضطهاد والتعنيف والقسوة باسم الدين.

٣. تمزق الأمة وتفرقها: وهذا من أسباب الإلحاد الجديد إذ إن الملحد يرى تفرقا واختلافا بين سنة وشيعة وإباضية ومعتزلة واشاعرة فلا يجد نفسه إلا في صراع داخلي أي هذه الجماعات يمثل الحق أو الدين ؟ ولكي يستريح من عناء تلك الاستقطابات ينزوي عن تلك التحزبات والافتراقات إلى إلحاد وإنكار.

وهناك أسباب أخرى يذكرها الباحثون تبعد وتقترب من الإلحاد وكلها تعكس حالة الارتباك الحاصل.

المبحث الرابع: سمات الإلحاد الجديد وآثاره

إن هنالك سمات للإلحاد الجديد تختلف اختلافا صريحا وواضحا عن الإلحاد القديم منها:

السمة الأولى: الحماسة والحرص الشديد على الدعوة للإلحاد: وقد كان لحادثة الحادي عشر من سبتمبر أثر في تفجير الموجه الإلحادية الجديدة يقول د/ عبد الله العجيري:" كان الإلحاد في سياقه التاريخي إجمالاً يمثل خطابا ميالاً نسبيا إلى قدر من الحيادية من الموقف الديني ولم يكن لديه تلك الحماسة الكبيرة لممارسة الدعوة والتبشير بقضية الإلحاد بل كانت قضية الإيمان في حسه قضية شخصية متعلقة بالأفراد لا تستفز الملاحدة كثيراً ولسان حال الواحد منهم أن قضية الإيمان والكفر مسألة شخصية وما دام هذا المتدين لم يكسر لي رجلا أو يفقأ لي عينا فليؤمن ويتدين كيف يشاء ولكن من لحظة اصطدام الطائرتين ببرجي التجارة العالمي تغيرت المعادلة تماما وترسخ في وعي كثير من الملاحدة أن قضية الإيمان والتدين باتت مُهدِداً حقيقياً للبشرية وأن التزام ذلك الهدوء والحيادية من الدين لم يعد خياراً مقبولاً وأنه من المتعين على الملاحدة اليوم السعي جديا في استئصال مبدأ التدين من الحياة البشرية وإحلال قضية الإلحاد كخيار منقذ"[١].

ومن ذلك الحين بدأ حراك دعوي للإلحاد اتخذ أشكالاً متعددة من أهمها:

١. **التأليف والكتابة**: حيث انهمرت مجموعة من التآليف المتعددة والتي شكلت القوة الدافعة للإلحاد الجديد ومن تلك الكتابات التي فجرت الظاهرة الإلحادية الجديدة كتاب " نهاية الإيمان " لسام هارس وكتاب وهم الإله للبيولوجي الداروينى الشهير ريتشارد دوكنز وكتاب " كسر السحر... الدين كظاهرة طبيعية " للفيلسوف الأمريكي دانييل دينت وكتاب " الله الفرضية الفاشلة " للفيزيائي فكتور ستنجر وكتاب " الله ليس عظيما.. كيف يسمم الدين كل شيء " للصحفي كريستوفر هيتشنز.

ومع التأليف والكتابات ظهرت البرامج الفضائية والإذاعية التي تدعو للإلحاد.

بل حتى صار للإلحاد مؤسسات إلحادية فليس الإلحاد اليوم عملا عشوائياً يعتمد على الجهود الذاتية بل أصبح عملا مؤسسياً ومن تلك المؤسسات الإلحادية:

- التحالف الدولي للملاحدة (Atheist Alliance international).
- رابطة الملاحدة (Atheist nexus).
- مؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم (Richard Dawkins Foundation and Ethical union)

---

١ عبد الله العجيري: ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، مركز تكوين للدراسات والابحاث، ط٤، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م، ص ٢١.

- الاتجاه الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي (International Humanist and Ethical union)

- الرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين.

مع انفجار إلحادي كبير في مواقع إلحادية على شبكة الإنترنت تقدم مواداً متصلة بالظواهر الإلحادية وتمارس دوراً دعوياً للفكرة الإلحادية مع حضور قوي لبعض الصفحات على الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي ، وكما أن ثمة كتب مؤلفة للأطفال فثمة مواقع إلحادية مصممه للأطفال ومنها موقع)www.Kidsthoutgod.org(وهو موقع يستهدف الأطفال الصغار والمراهقين والوالدين ويقدم التوجيهات والإرشادات والمواد الإلحادية.

*** السمة الثانية: عدائية الخطاب الإلحادي الجديد:**

إن النظرة الإلحادية نظرة عدائية لأبعد حد يتصور فكل من لم يكن ملحدا فهو عدو للإلحاد فيعيش الملحد بغضا وكرها وعدائية مقيتة لكل من لم يلتزم طريقة الملحدين وفي ذلك يقول العجيري:

" من الملاحظات المهمة التي يمكن تسجيلها حول ظاهرة الإلحاد الجديد ولعلها تمثل الصفة المركزية المميزة لهذه الظاهرة تلك اللغة شديدة العدائية للدين ولمبدأ التدين ولقضية الإيمان بالله حتى تم توصيف الظاهرة الإلحادية الجديدة في بعض الدوائر الفكرية الغربية ب(ميليشيات الإلحاد Militant Atheists وذلك بسبب النمط العدائي الشديد الذي يتميز به هذا الخطاب الإلحادي أو كما يفهم بعض المهتمين بالظاهرة (In your face Atheists) حقا لقد (ذهبت أيام الإلحاد المؤدب) كما يقول سكوت هان وبنجمن وكر فالملاحدة الجدد ينطلقون في تعاملهم مع الدين مع رؤية ترى فيه منبعاً للشرور والكوارث والقوارع البشرية وأنه من الواجب السعي بجدية في محاربته وفق الأدوات المتاحة والممكنة"[1].

*** السمة الثالثة: استعمال أداة الإرهاب في حرب الأديان:**

إن من سمات الإلحاد الجديد الشائعة وذلك لسهولتها الإرهاب الفكري إنها أداة يسيرة لا تحتاج في الحقيقة إلى نظر ولا طول استدلال وإنما يدفعوا في صدور مخالفين بإرهابهم فكريا ونفسيا لكي يكون ذلك دافعا للشكوك عند الجهال والسذج وكذلك هي أداة تطيل نفس الخطاب الإلحادي وتجعل له حضورا إعلاميا وثقافيا وفي ذلك يقول العجيري: " من الأسئلة التقليدية التي يفضي بها الخطاب الديني اتجاه الملاحدة السؤال

---

١ المرجع السابق، ص٤٣.

التالي: تخيلوا عالما بلا دين ؟ وبلا إيمان ! كيف ستكون أحوال البشرية ؟ وما الذي سيولد حالة الانضباط الأخلاقي عند الناس؟ تأتي هذه الاسئلة كمحاولة للتأكيد على أهمية البعد الديني من حياة الناس وكارثية التفلت الأخلاقي التي سيتولد نتيجة إلغائه وإعدامه من الوجود فيسعى الخطاب الإلحادي اليوم عبر إيراد ذات السؤال: تخيلوا عالماً بل دين؟ إلى إثارة الشبهات حول الموقف الديني وقلب الطاولة عليه لن تكون هناك محاكم تفتيش ولا حروب صليبية ولا صراع عربي اسرائيلي ولا صراعات يوغسلافية ولا ١١ سبتمبر... الخ هكذا يجيب الملاحدة الجدد فينقلب الخطاب الديني ليكون في موقف الدفاع عن موقف الأديان في الحياة الإنسانية بدل أن يكون السؤال هجومياً محرجا للخطاب الإلحادي "[١].

*** السمة الرابعة: الهجوم اللاذع على دين الإسلام:**

إن الإسلام بشرائعة وأحكامه ودلائله يمثل شوكة في حلوق الملاحدة وذلك نظرا لضعف الأديان الوضعية على العموم بل بها سذاجات يهزأ بها الملاحدة ولم يعد لدى الفكر المسيحي واليهودي ما يقدمه للجواب عن قضايا الإله والوجود والأخلاق والخير والشر فأصبح الإسلام في خندق وحده يحمل الإلحاد هم مجابهته ومناظرته وخاصة إذا كانت الحجج ظاهرة قوية " لقد بات الإسلام وتمثلاته في الواقع هاجساً حقيقياً شديد الحضور في الذهنية الإلحادية الجديدة وباتت المصطلحات العربية من جنس (الله، محمد، الشريعة، القرآن الحديث، الائمة، الملالي، العلماء، المدارس، الفتوى، الجهاد) وغيرها ذات حضور حقيقي في الكتابة الإلحادية ويكفي أن تعلم أن أحد أهم أدبيات الإلحاد الجديد (الله ليس عظيما) لكريستوفر هيتشنز إنما اختير عنوانه هذا مناكفة لشعار المسلمين (الله أكبر) " [٢].

*** السمة الخامسة جاذبية الإلحاد الجديد:**

نأسف أن الإلحاد الجديد صار ذا جاذبية و لم يعد كالإلحاد القديم الذي لُفِظَ ولم يجد قبولا في زمانه " أحد الجوانب اللافتة للنظر في الظاهرة الإلحادية الجديدة أنها أصبحت ظاهرة لها جاذبيتها الخاصة وذلك من خلال رموزها والذين يتمتعون بكاريزما خاصة وأسلوب لافت وطريقة في الحديث مؤثرة.

..... لقد أضحى رموز الإلحاد الجديد أيقونات تحظي بالمعجبين والمعجبات خصوصاً مشاهيره الأربعة (ريتشارد دوكنز، وسام هارس، وكريستوفر هيتشنز، ودانيل دينيت) والذين باتوا يعرفون في كثير من الدوائر الغربية بالفرسان الأربعة"[٣].

---

١ المرجع السابق، ص٦٣.
٢ المرجع السابق، ص٦٩.
٣ المرجع السابق، ص٧٩.

* **السمة السادسة: المغالاة الشديدة في العلوم الطبيعية التجريبية** والاتكاء عليها في التنظير للفكرة الإلحادية: " والحق أن هذه السمة ليست مختصة بالظاهرة الإلحادية الجديدة دون الظواهر الإلحادية المسبقة ولكن مركزية العلم الطبيعي في تشكيل الرؤية الإلحادية الجديدة باتت أوضح بكثير إضافة إلى حالة المغالاة الشديدة في إمكانيات العلم التجريبي في تحصيل العلم والمعرفة و تلك الروح العدائية لكل ما كان خارجاً عن هذه الطبيعة العلمية الضيقة "[1].

* **السمة السابعة: التبشير بالإلحاد:** " فالتبشير الكهنوتي بالإلحاد صار سمة الملحدين الجدد فاسقطوا قطعيات بظنيات وشككوا الناس في الحق والخير والجمال مع أن الاستعداد الإدراكي العام والسجل الأحفوري المتطاول لبني الإنسان يؤكد أن الإلحاد ظاهرة طارئة ووقتية في آن ؛ ولا شيء يشفع للوجود الإلحادي بطابعه التبشيري الذي نشهده اليوم عند دعاته فالإلحاد فعليا أصبح يحمل هم التبشير بالدوغما Dogma الجديدة وجدول دعاة الإلحاد الجديد ملئ بالزيارات الدعوية التبشيرية في كل مكان وصار الإلحاد الدين الخفي الأحدث...."[2].

* **نتائج الإلحاد وآثاره:** إن من آثار الإلحاد الجديد أنه أصبح خطرا يهدد المجتمعات والأفراد والأسر والدول ولذلك تتبدى بعض الآثار الخطيرة للإلحاد نذكر أبرزها:

أولاً: الإلحاد يسمم كل شيء[3] فيدخل على الأشياء فيقلب حقيقتها ويغير نظامها ومن ذلك:

١/**الإلحاد يسمم القيمة:** فلن يستطيع الإنسان أن يحصل على المعنى أو القيمة أو الغاية أو يستوعب شيئاً في ظل تلك الحتمية المادية التي تحيطنا في كل شيء حولنا إلا بمدد من عالم آخر وناموس أخر ومقدمة أخرى تماما ويمضي الإنسان في هذا العالم باحثا عن المعنى والغاية والقمة لأنه يعلم وجود هذه الأشياء وهناك مفارقة مضحكة ونادرة في أن لن يستطيع الانسان أن يلحد إلا لو استقر في ذهنه خطأ الإلحاد مسبقاً فلولا وجود القيمة والمعنى والهدف والغاية والذين افتقدهم الملحد في دينه لما ألحد ولولا معرفته بالخطأ والصواب والخير والشر لما قرر أن الحاده خير من دينه وهنا يصبح الإلحاد دليل على خطأ الإلحاد ويصبح الكفر دليلاً على سقوط الكفر.

٢/ **الإلحاد يسمم العلوم:** فنظرة الملحد للعلوم وعدم تسليمه إلا بالعلم التجريبي والمحسوسات ولا يقبل أدلة خارج هذا النطاق هذا وإن كان تأسيسا لمرحلة لاحقة لرد الأدلة الدينية التي ليست من جنس الأدلة التي يريدها لكن بهذه الطريقة المريعة سنحذف

١ المرجع السابق، ص ٨٣.

٢ هيثم طلعت: الإلحاد يسمم كل شيء، ت/ عبد الباسط قاري، نيو بوك – القاهرة، ط١، ٢٠١٥م ايداع /٢٦٠٨٨ /٢٠١٥م، ص ص ٦٧-٦٨.

٣ مستفاد من المرجع السابق، ص

من جامعاتنا وقواميسنا وعلومنا علوم ليست تجريبية وإنما هـي مـن مكتسبات العقـل الإنساني والتجارب الكثيرة والخبرات الثرية كعلوم الأخلاق والفلسفة والاجتماع والقانون والآداب وعلوم التاريخ وعلوم البيولوجيا وعلوم النفس واللسانيات سـنخرج كـل هـذه العلوم من تصنيف الملحد وهذا تسميم للعلوم ودحر للأفهام والعقول.

٣/الإلحاد يسمم المثقفـين: لم يهنأ مثقف واحد في بيئة إلحادية ولم يستقر له بحث إلا أن يسايرهم في كل ما يقيدونه في بحثه وحين وصل الإلحاد رسمياً إلى الحكم فـي الاتحـاد السوفيتي السابق تم تحريم كل العلوم التي تتعارض مع الإلحاد فالإلحاد يقوم على أسـس مستقلة ومعارف خاصة من أجلها يزيح كل الثقافات والمعارف المتعارضة معه وفلسفته ، وهذا التسميم المتعمد للثقافة والمثقفين على يد الإلحاد

والملحدين لا يكون إلا في عالم لا يؤمن بالإنسان ولا بالعلم ولا بالتفكير وقطعاً لا يـؤمن بالله.

٤. الإلحاد يسمم الشعوب: فالشعوب المقهورة تطمح إلـى الإصـلاح فيـأتي الإلحـاد والملحدون لكي يوهموا الجماهير بأنهم لو وصلوا للحكم وقيادة الـدول يـسود الرخـاء والمساواة فينخدع بهم من لا يعرفهم فكما مر من قبل أن المجـازر والتطهيـر العرقـي وأكوام الجماجم وقتل الطوابير وحقول القتل كانت مـن داخـل الـدول التـي حكمهـا الملحدون.

٥. الإلحاد يسمم المتدينين: وهذه بديهة مستقرة في كل أذهان المعاصرين للدول الملحدة وكانوا أصحاب ديانات فقد سُنت قوانين تحرم الأديان كما مر في بداية البحـث ، وفـي الدستور السوفيتي الجديد سنة ١٩٧٧ نص في المادة ٥٢ على أن: " الدولة ترعى الإلحاد العلمي وتحرم تلقين الدين من قبل أي جهة" فالإلحاد نسق معرفي لا يقبل أي مزاحمة من أنساق معرفية أو دينية أخرى.

٦. الإلحاد يسمم الملحدين: فالـصراعات الكبـرى التـي شـهدها القـرن العـشرين والأيدولوجيات التي دارت رحي الحرب بينها كلها حصرية بالنزعة الإلحاديـة والرؤيـة المادية للوجود بل إن الحربان العالميتان الأولى والثانية كانتا حروب علمانية – علمانيـة تحكمها تصورات إلحادية للأجناس البشرية وخرافات السعي نحو النقاء العرقي والبقـاء للأصلح وإبادة الجنس الأدنى فكانت النتيجة إبادة قرابة ٥% من سكان العالم.

وينقلب السحر على الساحر فيقوم ستالين الملحد والذي كان يرى أن البـشر جماعـات وظيفية تأكل لتنتج ورأى أن الحركة الصراعية هي الصيغة التحليلية الوحيـدة للوجـود الإنساني من رؤية إلحادية داروينية.

فيقوم ستالين على حسب رؤيته بقتل رفاقه الملحدين في الاتحاد السوفيتي ، وكان ستالين لا يكتفي بقتل الملحدين رفاق عمره فحسب بل كان يقتل زوجاتهم وأولادهم وكل عوائلهم وليس ستالين وحده بل كان ماو تسي تونج رئيس الصين الملحد فقد تسبب إلحادة في حقده على الجميع وخلال فترة حكمة للصين أباد ما لا يحصى من البشر حتى تم تصنيفه كأكبر مجرم حرب عبر كل التاريخ فقد قتل من ٤٠ – ٧٠ مليون نسمة ، وهكذا فالإلحاد قد حفر بفلسفته المجنونة قدرا يكفي لدفن العالم بأسرة !

٧. **الإلحاد يسمم جيفارا:** أو الرفيق جيفارا ملحد ارجنتيني قائد حروب عصابات أصبح اسمه وصورته شارة عالمية للتمرد في الثقافة الشعبية شهرته اقترنت بدوره الفعال في الثورات الكوبية مع فيدل كاسترو وقد اشتهر جيفارا بتشكيل فرق الإعدام السريع فأعدم المئات من الشعب الكوبي مع دعواه إنهاء البؤس ومحاربة الرأسمالية والسياسية الأمريكية التي تدعم التكتلات الإمبريالية الاستعمارية – والأنظمة القمعية

لكن جيفارا كان يقتل الاثرياء ليطعم الفقراء بدموية السفاح وكانت معادلته خطأ بسبب إلحاده وبعده عن الدين الذي يضبط المعادلة أفضل من الإلحاد ، وحتى ولو كان الدين هذا وثنياً فأي دين يقرر أن الغاية لا تبرر الوسيلة فالإلحاد هو الذي حول جيفارا من إرادة الإصلاح إلى شيوع الدموية والقتل.

٨. **الإلحاد يسمم المسلمين:** من أقبح الصور لذلك ما فعله السفاح رئيس صربيا ويوغسلافيا السابق سلوبو دان ميلوسوفيتش كان ملحداً رسميا باعترافه أذاق ميلوسوفيتش المسلمين الويلات وأباد قرى مسلمة بأكملها في منطقة البلقان وأحرق أكباد المسلمين بطول العالم وعرضه في التسعينيات من القرن الماضي كان يريد ميلوسوفيتش إقامة (صربيا الكبرى) على أشلاء المسلمين بمنطقة البلقان وهذه الفكرة القومية التي يريدها ميلوسوفيتش هي فكرة إلحادية في محتواها فهي تقوم على الجنس الأفضل والنقاء العرقي.

فالإلحاد على الحقيقة يدمر كل شيء وإن سنحت له الفرصة سيقضي على الأخضر واليابس بهمجية ودموية إلحادية وذلك ليعلم الجميع سلمية الإسلام ذلكم الدين القويم العظيم بتعاليمه السمحة.

المبحث الخامس: سبل مواجهة الإلحاد الجديد

الإلحاد كما تبين لا ينطلي على قيمة فهو وهم في المعرفة وهم في الفكر وهم في الأخلاق وهم في الاجتماع وهم لا تبقى معه الحياة بطبيعتها المستقرة ، ويكفي في مواجهة الإلحاد أن نرد في صدره تلك المآسي والقبائح والفظائع التي مر ذكرها فكفيل لمن استقام عقله أن يلفظه ويتركه ولا يلوي عليه لأنه يفقد الحياة معناها ، وكما يقول د/ سامي عامري: " انتقل الإلحاد بالإنسان من عصر المرجعية المتجاوزة لكون (الوحي)

إلى عصر المرجعية الكامنة في الكون (المادة) حيث المادة أصل كل شـــيء وذاك يلغـــي من الوعي الإنساني كل الكليات التي تصنع الآفاق الشائقة في عالمنا وفي غياب الآفـــاق يختفي إمكان السعي إلى " معنى " فالحياة حركة عابثة بين مهد ولحـــد تؤزهـــا الـــدوافع والمثيرات الطينية الدانية "[١].

ولكن لكي تكون هناك خطوات منضبطة لكبح جماح الإلحاد ومواجهتـــه لابـــد وأن نتعرف مخاطره كما مر ثم بعد ذلك ننظر اليها نظرة تلسكوبيه مكبرة لا نتغافل عـــن معتركه الشائك فلا نسطح ظاهرته يقول د / العجيري " من القضايا المهمة أيـــضا فـــي تناول الظاهرة الإلحادية عدم تسطيحها فهي ظاهرة معقدة مركبة وبالتالي تستدعي نظـــراً مركبا فليس صحيحا مثلا أن جميع الملاحدة إنما ألحدوا محبة للشهوات وطلبـــا للتخفـــف من سطوة الضمير بل أسباب الإلحاد متنوعة وفي كثير من الأحيان لا تكون عائدة إلـــى إلى عامل واحد " [٢]

ونظراً لمحدودية صفحات البحث الذي بين أيدينا سنقف عنـــد الهيكلـــة العامـــة لمنهجية مواجهة الإلحاد المعاصر والتي سأجعلها في نقاط:

أولاً: منهج أهل السنة في مواجهة الملحدين:

فالتعامل مع الملحدين من وجهة النظر الإسلامية يكون:

١) البراءة من عملهم وعدم موالاتهم: وتلك تخص مسألة الاعتقاد في موالاة أهل الأديان ومعاداة أعداءه وقد قال تعالى: " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء مـــن دون المـــؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء " (آل عمران / ٢٨).

٢) النصح لهم وبذل الجهد في إرشادهم: حيث إنه يتوجب على المسلم أن يكون ناصـــحاً لكل الناس مؤمنهم و ملحدهم على السواء لأن الخيرية لهذه الأمة متعلقة بـــذلك قـــال الله تعالى: " كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــون بالله " (آل عمران ١١٠).

٣) تحذير المسلمين من خطرهم: وذلك واجب العلماء والدعاة والقـــائمين علـــى الأمـــر الدعوي في البلاد حتى يتعرف الناس خطر الإلحاد حتى لا يقعوا فـــي براثنـــه بتـــذويق العبارات والمفاهيم الإلحادية.

٤) الالتزام بقواعد الجدل والمناظرة: التي قال الله تعالى فيها " وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل ١٢٥) ومشروعية الجدال معروفة مبثوثة في آيات القرآن الكريم " ويكـــون ذلـــك الجدال المحمود من خلال إبداء المدارك وإظهار الحجـــج التـــي هـــي مـــستند الأقـــوال

---

١ سامي عامري: الإلحاد في مواجهة نفسه، ص٩٢.

٢ – العجيري: مليشيا الإلحاد ، ص ١٢٣.

والأعمال وهو من أساليب الدعوة إلى الله تعالى فإنه ينبغي على الداعية أن يستخدم الجدل عند الحاجة إليه ويقصد بذلك إظهار الحق وإبطال الباطل بالأدلة العقلية والنقلية هذا إضافة إلى أن الجدل والمناظرة إنما يقومان على النظر والاستدلال وقد أرسل الله تعالى الأنبياء جميعهم لكي يأمروا الناس بالنظر ولاستدلال... "[١].

*** آداب الجدال والمناظرة:**

وضع العلماء ضوابط وآداب محكمة للمناظرة والمجادلة على العموم ويدخل فيها الملاحدة تبعا ومنها.

١. إرادة إظهار الحق أولاً وأخيراً: وهذا دأب العلماء قديما وحديثا غرضهم إظهار الحق وإبطال الباطل وليس انتصاراً للنفس أو مجاراة للباطل.

٢. الوضوح وعدم التحريف: من سمات المتناظر المسلم أنه لا يحرف الكلام ويتسم بالوضوح الكامل.

٣. القصد وعدم التطويل: فإذا تم المراد بالجملة فلا داعي للتكثر بما لا داعي له.

٤. الهدوء وخفض الصوت: وذلك أدب عال ورائق لأهل الحق فعلو الصوت لا يحسنه الا الجهال.

٥. العدل وعدم التحيز وكذلك الدقة و الموضوعية.

ثانياً: تجديد الخطاب العقدي للاستجابة لمثل هذه النازلة العقدية: " والحق أن ظاهرة إفراز العلوم الطبيعية لبعض الأسئلة التي تستدعي جوابا شرعياً ليس أمرا حديثاً تماماً في المشهد العقدي بل هي ظاهرة موجودة في الكتابات العقدية والبحث العقدي فمثلاً سؤال كروية الأرض وما تفرضه من سؤالات حيال علو الله تعالى على خلقه أو نزوله جل وعلا في ثلث الليل الآخر ومن الأسئلة الشهيرة في هذا السياق ومثله سؤال التعرف على جنس المخلوق ووجه الجمع بينه وبين اختصاصه جل وعلا يعلم ما في الأرحام وهكذا إلى غير ذلك من السؤالات وبالتالي فالمقصود مجرد التأكيد على ضرورة الاستمرار في معالجة هذا اللون من المسائل العقدية خصوصاً مع تمدد تناول العلوم الطبيعية لها "[٢].

" ومن مجالات التجديد هنا تجديد صيغ وقوالب بعض الأدلة العقدية في هذا الباب وممارسة شيء من العصرنة اللفظية لها، والاستفادة مما استجد من المعارف والعلوم

١ سعد بن بجاد مصلح العتيبي: المنهج الشرعي في الرد على دعاوي الإلحاد الجديد، دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، مج ٢، العدد ٣٣، ص ٩٧٦.

٢ عبد الله العجيري: ميليشيا الإلحاد، ص ١٣١.

وذلك لتناسب تلك الدلائل المزاج العلمي المهيمن على الكثيرين والذين ما عـادت الأدلـة العقلية المختصرة تولد ذات القناعة التي كانت تولدها في الماضي "[1].

ثالثاً: بيان موضعية الدين من العلم: فتصور علاقة تناقض بين العلـم والـدين وتعلـق الإلحاد بها نظراً لبعض الأسئلة التي تقع خارج قدرات العلـم كمعنـى الخيـر والـشر والصواب والخطأ والنجاح والفشل والمعنى واللا معنى والقيمة والغاية ومصدر القوانين.

يقول د.هيثم طلعت موضحا ذلك: " هذه أسئلة خارج نطاق العلم ليس لعجز العلـم أو قصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معا ، الدين جواب لـسؤال آخـر لا يتعلق بالعلم فالعلم هو فقط تحليل للظواهر بغير تفسيرها والإنسان لم يتبن العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة وإعداد بعناية وعظيم صنع وروعة خلق ولم يفعل العلـم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلميـة ؛ فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ والانضباط والمصداقية التي لولاها ما قام العلـم.. كلهـا تقطع بأن وراء الظلال حقائق ، من الذي يقف خلف القضية ككل ؟ الله يقف وراء قـصة العلم كلها والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب وقـضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير ومع ذلـك فشل في الاختبار خلق كثير "[2] ، وهذا المجال كذلك يحتاج إلى تأصيل عقـدي ومنهجـي فتحرر الصلة والعلاقة بين المعارف الشرعية والمعارف العلمية الطبيعية.

رابعاً: ضرورة تقديم رؤى نقدية هجومية وعدم الاكتفاء بالمدافعـة: حتـى لا يظهـر الإلحاد منتصراً مزهواً بنفسه.

خامساً: تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات والإشكالات ومن ذلـك عـدم التعرض للشبه لأن الشبه خطافة فلا يحملني الغرور العلمي الذي لم يتقيد بضابط إيمـاني إلى اقتحام المسائل الشائكة في طابور الإلحاد المعاصر فيفتن ويعـرض نفـسه للهـلاك ولكن من قُدِّر له أن يتصدى لشبهات الملحدين فعليـه أن يكـشف زيـف هـذه الـشبهة ويعرضها على حقيقتها بناء على قواعد منهجية وتأسيس علمي رصين.

سادساً: **ترسيخ الحضور القرآني في قضايانا الفكرية والعقدية:** فالقرآن يحمل في ثنايـاه الأدلة العقلية والنقلية على حد سواء بل والأدلة النفسية التي تعالج إشـكالات الانحـراف السلوكي التي قد لا تجدها في غير القرآن العظيم.

---

١ المرجع السابق، ص ١٣٣

٢ هيثم طلعت: عيادة الملحدين، دار اليسر – القاهرة، ايداع ٢١٠٦٤ /٢٠١٦، انظر ص ٣٣٣.

سابعاً: انشاء مراكز بحثية ودافعية[1]: تناقش المشاكل الإلحادية سواء المعرفية أو الثقافية أو المجتمعية ثم تحاول إيجاد حلول لهذه القضايا بعمق ورؤية دينية مؤصلة.

وأهم موضوعات هذا المجال الإلحادي والرد عليه ومواجهته:

١. دراسة الإلحاد الجديد في الغرب واطروحاته وأهم رموزه كي نقف على حقيقته.

٢. ترجمة الأعمال الغربية المناهضة للإلحاد والتي توافق رؤيتنا الإسلامية لمعالجتها الإلحاد في بيئته.

٣. نقد الإلحاد من ناحية العقل ومن ناحية آثاره المدمرة معرفيا واجتماعيا وثقافيا كما مر للتنفير منه.

٤. تفنيد الشبهات المثارة حول وجود الله وأبرزها مشكلة الشر وتسلسل العلل وتناقض القدرة الإلهية وتناقض العلم الإلهي[2].

٥. دراسة نظرية التطور وموقعها من الشرع وتفكيكها وتحليل أطروحاتها ونقدها نقداً علمياً منضبطاً بالكتاب والسنة والتراث العقلي الإسلامي ككتابات علماء أصول الدين والعقيدة والفرق الذين تعاملوا مع قضايا إلحادية تخص الاعتقادات والغيبيات.

٦. السعي لنشر الكتب والمؤلفات المحكمة الرصينة التي تبين فساد الإلحاد وخطره بدلاً من عدم التوازن بين ما تفرزه أسواق الكتب الإلحادية وبين ما نقدمه كمسلمين تجاه صد تلك الغارات الالحادية.

ثانياً: تعزيز دور المؤسسات الدعوية والعلمية والاجتماعية في تقوية الجانب الإيماني في قلوب الشباب والنشء وذلك بتعميق دور الشرع والعقيدة في حياة المسلمين وذلك ببعض المحاور الهامة:

١. نشر دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الثقافة العامة والوعي المجتمعي.

٢. الحث على عبودية التفكر والنظر في المخلوقات التي تزكي الايمان في قلوب الناس ولكن ذلك يكون بوعي دعوي يربط الكتاب المسطور أي القرآن الكريم بالكتاب المنظور أي الكون المشاهد.

---

١ انظر هشام عزمي: الإلحاد للمبتدئين، ص١٨٩، وما بعدها.

٢ انظر في مناقشة قضية وجود الله تعالى ومحاجة الملحدين الكتب الآتية:

- مصطفى نصر قديم: الصنع المتقن (دلالات الفيزياء على وجود الخالق) مركز دلائل – الرياض، ط٢، ١٤٣٨هـ.
- أحمد ابراهيم: اختراق عقل (دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، مركز دلائل – الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.
- عبد الله صالح العجيري: شموع النهار (إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، تكوين للدراسات والابحاث، ط٣، ١٤٣٩ه، ٢٠١٨م.
- هيثم طلعت: مناظرة الملحدين، ت/ محمود شريف، نيوبوك – القاهرة، ط١ ٢٠١٦م.

خاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله تعالى حمدا يليق بجماله وكماله أن وفق وأعان فله الفضل في الأولى والآخرة سبحانه وبحمده وفي مختتم هذا البحث أعرض أهم النتائج التي توصل لها البحث وهي:

أولا: أظهر البحث أن الإلحاد ليست إلا وهم وعدمية في النظرة والفكرة.

ثانيا: كشف البحث عن تطور الإلحاد عبر التاريخ مختلفا في أنماطه وأفكاره مع مراعاة أن الإلحاد يشمل تلك الأنماط جميعها.

ثالثا: أبان البحث أن الألحاد القديم والجديد تشكل في جماعات وأفكار ومذاهب انضوى تحتها وبفضل هذه المذاهب التي حملت الإلحاد انتشر وكان له دولة كما في الاتحاد السوفيتي.

رابعا: عرض البحث لمخاطر الإلحاد ومجازره في حق الإنسان بعامة والمسلمين بخاصة كما في بعض البقاع والأماكن كما في البلقان على يد رئيسها الملحد.

خامسا: أثبت البحث أن للإلحاد أسبابا ودوافع سواء نفسية أو اجتماعية أو فكرية.

سادسا: أظهر البحث الوسائل المطلوبة في مواجهة الإلحاد الجديد مع الأخذ في الاعتبار خطورة الإلحاد الجديد الذي اتخذ العلم التجريبي تكأة لإلحاده.

ثبت بأهم بالمصادر والمراجع:

١ – ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، ت/ موسى سليمان الدرويش، مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢ – حسام الدين جاد: الإلحاد وثوقية التوهم وخواء العدم، مركز تفكر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م

٣ – ابن الخياط المعتزلي: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ت/ د/ نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، أوراق شرقية، ط٢، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤ – الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٥ – الزمخشري: الكشاف، ت/ عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١ ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

٦ – سامي عامري: الإلحاد في مواجهة نفسه (حقيقة الإلحاد على ألسنة فلاسفته ورموزه)، رواسخ – اصدارات – دراسات – برامج، د/ت.

٧ – سعيد ناصر الغامدي: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (دراسة شرعية نقدية)، دار الأندلس الخضراء – جدة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨ – عبد الله سعيد الشهري: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والغيمان، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

٩ – عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٥م.

١٠ – ابن عطية: المحرر الوجيز، ت/ عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١١ – عبد الله العجيري: ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، وتكوين للدراسات والابحاث، ط٤، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨ م.

١٢ – على محمد جريشة، محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٣ – عمرو الشريف: وهم الإلحاد، تقديم د/ محمد عمارة، مجلة الازهر، هدية المحرم ١٤٣٥هـ.

١٤ – ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ت
١٥ – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت/ عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
١٦ – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١٧ – الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت/ عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٨ – محمد مجاهد نور الدين: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، دار هجر للنشر والتوزيع، د/ت.
١٩ – محمد فاروق الخالدي: التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، دار المعالي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٢٠ – محمد عمارة: الغزو الفكري وهم أم حقيقة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، مطابع روز اليوسف، إيداع، ٣٨٣١/ ٨٨.
٢١ – مانع حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ايداع: ٠١٩٠/ ١٠٨.
٢٢ – محمد شامة: محمد الجليند وآخرون ؛ عقائد وتيارات فكرية معاصرة، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر – ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٢٣ – محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق – القاهرة، ط٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٢٤ – ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف – القاهرة – ت/ عبد الله علي الكبير وآخرون، د/ت.
٢٥ – هشام عزمي: الإلحاد للمبتدئين (دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد) مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط٣، ٢٠١٦.
٢٦ – هيثم طلعت: الإلحاد يسمم كل شيء، ت/ عبد الباسط قاري، نيو بوك – القاهرة، ط١، ٢٠١٥م ايداع /٢٦٠٨٨ /٢٠١٥م.